

علم الصرف بمفهوم أندري مارتيني

علم الصرف بمفهوم أندري مارتيني

الآنسة : بانني عبيري

مكلفة بالدروس

معهد الترجمة

قبل التطرق إلى الحديث عن علم الصرف بمفهوم أندري مارتيني André Martinet يجدر بنا - تفاديا للالتباس - أن نقدم توضيحات حول بعض المصطلحات التي يشترك في استعمالها بمدلولات مختلفة كل من لليونارد بلومفيلد Léonard Bloomfield وأندري مارتيني، فـ «بلومفيلد» مثلا يعتبر الوحدة الاستبدالية Le Morphème وحدة الصرف، ويعرفها بأنها «أصغر وحدة تحمل دلالة معينة» وهكذا تكون الوحدات : «قلم» و «بديع» و «قسنطينة» مثلا وحدات استبدالية .

أما «مارتيني» فيفضل استعمال مصطلح اللفظة Le monème ويعتبرها «الوحدة الدنيا للتقطيع الاول» لأنها مزودة بالشكل (الدال) وبالمعنى (المدلول) في الوقت نفسه . وبعبارة أخرى، فإن اللفظة عند «مارتيني» هي «أصغر وحدة مزودة بالمعنى وتشكل موضوع اختيار المتكلم» ونحصل عليها من تقطيع قول من الاقوال تقطيعا أولا، وهكذا فإن القول :
- خير الأمور أوساطها

يتقطع إلى خمس وحدات هي اللفظات، وذلك على الشكل التالي :
خير / الـ / أمور / أوساط / ها /
(1) (2) (3) (4) (5)

وكل لفظة من هذه اللفظات يمكن أن تستبدل في نفس المحيط بلفظات أخرى على المحور التصريفي، أو يمكن أن توجد في محيط آخر مقترنة بوحدات أخرى على المحور التركيبي .
فانطلاقا من الجملة :

علي طيب ماهر ،

يمكن ان نستبدل اللفظة / ماهر / بوحدات أخرى على المحور التصريفي فنحصل على جمل

من هذا القبيل :

على طبيب حاذق،
علي طبيب قدير.

ويمكن أيضا أن نجد نفس الوحدة / ماهر / في محيط آخر مقترنة بوحدات أخرى على المحور التركيبي ومن ذلك :

هذا حلاق ماهر،
زار المصنع مهندس ماهر.

ومن هنا نستنتج أن اللفظة عند «مارتيني» هي المرادف التقريبي للوحدة الاستبدالية عند «بلومفيلد».

وإذا كان «بلومفيلد» يميز بين الوحدات الاستبدالية الحرة Les Morphèmes Libres والوحدات الاستبدالية المقيدة Les Morphèmes Liés فإن «مارتيني» يفضل التمييز بين اللفظات المعجمية Les Monèmes التي يسميها وحدات معنوية Les Lexèmes وتنتمي إلى قوائم جرد مفتوحة أو غير محدودة، واللفظات النحوية Les Monèmes grammaticaux وتنتمي إلى قوائم جرد مغلقة أو محدودة. وعلى هذا النمط الأخير من اللفظات يقصر «مارتيني» استعماله لمصطلح اللفظات النحوية، في حين يستعمله «بلومفيلد» للدلالة على مختلف اللفظات معجمية كانت أم نحوية.

وهكذا يمكن القول بأن «الوحدة الاستبدالية الحرة» عند بلومفيلد هي مرادف «اللفظة المعجمية» عند مارتيني و «اللفظة النحوية» عند هذا الأخير هي مرادف «الوحدة الاستبدالية المقيدة» عند بلومفيلد. فلو أخذنا الكلمات :

تلميذة ، خرجن ، الكتاب
(1) ، (2) ، (3)

نلاحظ ان ما يمثل المرادفين الاخيرين هي الوحدات التالية : الفتحة وتاء التأنيث في «تلميذة»، و«نون النسوة» في «خرجن»، و«ال» التعريف في «الكتاب».

والوحدات التي تمثل المرادفين الأولين هي : «تلميذ -»، و«خرج -»، و«- كتاب». وكل كلمة من الكلمات الثلاث (1) و(2) و(3) تحتوي على لفظة بمفهوم «مارتيني» ووحدتين استبداليتين بمفهوم «بلومفيلد».

أ - بدائل الدوال :

يعرف «مارتيني» علم الصرف بأنه «دراسة بدائل اشكال الدوال التي لا تؤدي إلى تنوع المدلول» وبعبارة أخرى «دراسة التغيرات الشكلية غير التفاضلية لدوال الوحدات... وهي تغيرات لا تخضع لاختيار المتكلم».

ومعنى هذا أنه لا يمكن استبدال بدائل لسان ببدايل لسان آخر، وكل لسان تنعدم فيه البدائل هو لسان خال من الصرف ويقترب من هذا الوضع اللسان الصيني، وتخضع له كلية اللغة الاصطناعية التي تسمى بـ الاسيرانتو L'espéranto في حين يعتبر اللسان العربي بحق لساناً صرفياً.

وحسب مفهوم «مارتيني» فإن وحدات مثل :
 لن، لم، بلى، كلا، لا، أهلاً وسهلاً، صباح الخير، نادراما، صفوة القول وجميع الضمائر المنفصلة لا مجال لها في علم الصرف، بما أنها تبقى ثابتة في جميع السياقات التي ترد فيها، بينما يمكننا الحصول من تصريف الوحدات :

وعى ، طالبة ، مجتهد

على عدة بدائل نذكر منها :

وعى ، طالبة ، مجتهد
 يعى ، طالبتان ، مجتهدان
 ع ، طالبات ، مجتهدون

وتنوعات الدال هذه هي موضوع «علم الصرف» الذي وضعه «مارتيني»، فهو يقصره على دراسة اللفظيات التي تعرف دوالها تغيرات شكلية وتسمى بـ البدائل الخطية Les allomorphes لـ «وحدات التقطيع الاول» ويعني بها الاشكال المتنوعة للمدلول الواحد، ومثال ذلك :
 «الالف والنون» في «قلمان» و«الياء والنون» في «قلمين» و«الالف» في «قلمان» و«الياء» في «قلمي (حبر)» .
 فجميع هذه الوحدات تحمل مدلولاً واحداً هو الثنية .

وتبغى الإشارة هنا الى ان هناك شروطاً تتحكم في توارد البدائل، وبعبارة اخرى فإن مختلف السياقات التي ترد فيها اللفظيات هي التي تتحكم في تنوعات هذه الاخيرة ، وهذه السياقات هي :

- السياق الصوتي : Le Contexte Phonétique ومثاله الشروط الصوتية التي تتحكم في التغيرات الصرفية التي تصيب بعض اللفظيات الوظيفية Les Monèmes Fonctionnels أي «حروف الاضافة» أو «حروف الجر» كما تسمى في النحو التقليدي، وهذه الحروف هي :

«اللام»، و«من» و«عن» و«الى» و«في» و«على»
 ف «الى» و«على» مثلاً يتحول ألف المدفيتها ياء اذا كانت الوحدة التي تليها ضميراً متصلاً، ماعدا ياء المتكلم، اذ في هذه الحالة تدغم في الضمير، ويتضح ذلك من الامثلة التالية :
 - عليكم السلام ورحمة الله ،

- الامراليك ،
- لا يخفى علي أمر المداهن ،
- علي أن أقوم بواجبي نحوك وقد لجأت إلي .
- ويختفي المد في هاتين الوجدتين «إلى» و «علي» اذا كانت الوحدة التي تليهما اسما معرفا بـ «ال» الشمسية او القمرية ، ومثال ذلك :

- يجب ان أعود إلى البيت ————— إَلَيْت
- نزلت درجة الحرارة إلى الصفر ————— إِلَ الصفر .
- ضع الكراس على المكتب ————— عَلَ المكتب .
- سيصل القطار إلى المحطة على الساعة الواحدة ————— عَلَ الساعة ...
- السياق الصرفي: Le Contexte Morphologique ومثاله : رجل محترم ————— رجلان محترمان وهذا التغير غير تفاضلي ولا يخضع لاختيار المتكلم وانما فرضته العادات النطقية للغة العربية .
- السياق المدلولي Le Contexte Signifié ومثاله .

كتاب ————— كُتِب

- السياق الأسلوبي Le Contexte Stylistique ومثاله :

يَكُنْ ————— يَكُ (في الأسلوب القرآني مثلا)
كَمْ ————— كُمُو (في السياق الشعري) .

وبما أن اللسانيات الوظيفية تهتم قبل كل شيء بتحديد العناصر اللغوية التي تشكل موضوع اختيار المتكلم في مجرى اللسان بالتقابل مع العناصر اللغوية التي يفرضها هذا اللسان ، فإنه يبدو ضروريا أن تراعى في كل هذه السياقات البدائل الحرة Les Variantes Libres التي لا يفرضها السياق ، وإنما هي تنوعات أسلوبية ، والبدائل الاجبارية Les Variantes Obligatoires التي يفرضها السياق .

فمن البدائل الحرة :

يَكُنْ / يَكُ ، كَمْ / كُمُو ، لست / لست بـ ، أجعلك / أجعل منك عندما ترد في السياقات التالية ::

لم يَكُنْ شيئا / لم يَكُ شيئا
لله دركُمُ / لله دركُمُو
لست شاعرا / لست بشاعر
سأجعلك بطلا / سأجعل منك بطلا

ومن هذه البدائل الحرة ايضا :

قد / لقد ، سوف / لسوف
مازال / لازال ، لماذا / لمَ
(أيام) طوال ، (أيام) طويلة

وكل هذه البدائل هي بدائل حرة غير تفاضلية، وتخضع لاختيار المتكلم.

ومن البدائل الاجبارية البديلتان «-ين» و «-ي» اللتان تتواردان على صيغة المفرد المؤنث المخاطب «تفعل» في السياقين التاليين :

- تسافرين الى الجزائر العاصمة/ لن تسافري الى الجزائر العاصمة

وقد تؤدي التغيرات الصرفية أحيانا الى تغير وظائف الوحدات، فإذا اخذنا الجملة التالية : -
(1) هذا مقال قيم .

نلاحظ أن الوحدة «مقال» تقوم بوظيفة المسند اي نواة القول، ولكنها بمجرد ان تقترن بـ «ال» التعريف تفقد هذه الوظيفة لتقوم بوظيفة المسند اليه، اي المحدد الاجباري للمسند، ويتضح ذلك من التركيب (2) الذي نحصل عليه بعد تعريف «مقال» :
(2) هذا المقال قيم .

وتجدر الإشارة هنا الى ان تغير وظيفة العنصر «مقال» لتغير شكله، قد أدى في الوقت نفسه الى تغير وظيفة عنصر مجاور له يرافقه في تكوين القول، على الرغم من ان هذا العنصر لم يتعرض لادنى تغير شكلي، وهذا العنصر هي الوحدة «قيم» التي قامت في المثال (1) بوظيفة الصفة اي وظيفة الفصلة الاولى المباشرة، وفقدت هذه الوظيفة في المثال (2) لتقوم بوظيفة المسند التي تخلت عنها الوحدة «مقال» بعد تعرضها للتغير الصرفي .

ب - اللفظة العدمية Les Monème Zéro :

نجد في علم الصرف الذي وضعه بلومفيلد مفهوم الوحدة الاستبدالية العدمية Le Morphème Zéro أما مارتيني فقد فضل استعمال مصطلح مرادف هو اللفظة العدمية Le Monème zéro ويعني بذلك غياب علامة شكلية متوقعة حيث تتحدد الوحدات بعضها بالنسبة للبعض الآخر. وفي هذه الحالة يكون لغياب العلامة الدلالة التي للعلامة الموجودة، وتشير لهذا الغياب علامة تفاضلية يمثلها الشكل التالي : (Ø) .

وهكذا فإن التقابل الموجود في اللسان العربي بين الفعل الماضي في صيغة المذكر المفرد الغائب والفعل الماضي في صيغة المؤنث المفرد الغائب يتضح بوجود علامة شكلية مع المؤنث هي التاء وغيابها مع المذكر كما يتضح من المثال التالي :

خرج Ø خرج + ت

وفي هذه الحالة يشير مارتيني الى ضرورة اللجوء الى القياس المباشر حتى يمكن الاستدلال على ان لكل مدلول دالا يتماشى معه، وقد يكون هذا الدال لفظة منطوقا بها او لفظة عدمية كما تبين من المثال السابق .

جـ اللفظة الممتزجة L'amalgame :

كثيرا ما تكون الدوال اللغوية ممتزجة، بمعنى ان الدال يكون منظويا على مدلولين (او اكثر)، ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية. ويمثل اللفظة الممتزجة في اللسان العربي جمع التكسير احسن تمثيل، ففي الدال «عصافير» نجد معنى الاسم المفرد ومعنى الجمع، ولكنه يصعب علينا تمييز دال المفرد من دال الجمع كما هو الحال بالنسبة لجمع المذكر وجمع المؤنث السالمين، وذلك على النحو التالي :

- (1) عصفور ~ عصافير (لفظة ممتزجة)
(2) مشارك ~ مشارك + ون ~ مشارك + ات

فمدلول المفرد ومدلول الجمع في (1) يمثلها دال واحد هو الدال الممتزج (عصافير) بينما تمثل مدلول المفرد في (2) العلامة العدمية (مشارك) ومدلول جمع المذكر السالم [ون] ومدلول جمع المؤنث السالم [ات].

ويمكن اعتبار الواو في «تصالحوا (1)» بالسياق :

- تناقش المتخاصمون وتصالحوا.

دالا ممتزجا امتزج فيه مدلول الجمع، ومدلول التذكير ومدلول الماضي، ولكنه يتعذر علينا صيغ علامة لكل مدلول. ونفس الشيء يمكن ان يقال عن القرائن الحالية الفعلية - Les Mod- alités Verbal أو ماجرت العادة على تسميتها بحروف المضارعة أو نعتها بحروف انيت .

وينبغي ان نلفت الانتباه هنا إلى أن مفهوم الدال الممتزج منعدم في اللسانيات البلومفيلية، مما أدى باللسانيات الأمريكية إلى المغالاة في اللجوء إلى مفهوم الدال العدمي عند تحديد المدلولات حتى عندما يتعلق الأمر بالدال الممتزج.

د - اللفظة المفروقة Le Monème Discontinuu : كثيرا ما يتحدد المدلول الواحد في اللسان بمقطعين (أو عدة مقاطع) موجودين في نقطتين متباعدتين بالمدرج الصوتي. بمعنى ان الدال يتجزأ إلى قطعتين أو عدة قطع لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة. وبهذا يكون الدال المفروق هو عكس الدال الممتزج. فإذا أخذنا الأمثلة التالية :

(1) تعرف الأشياء بأضدادها،

(2) نجحت الطالبة المجتهدة،

(3) المسافرون ينتظرون وصول القطار.

نلاحظ ان مفهوم الاضافة في (1) تدل عليه علامتان مفترقتان هما الوحدة / ب / و / الكسرة / في آخر الاسم / أضداد / .

وفي اللسان العربي المكتوب :

مفهوم التأنيث في (2) تدل عليه ثلاث علامات مفترقة هي / ت / في / نجحت / و / ة / في / الطالبة / و / ة / في / المجتهدة / .

- ومفهوم جمع المذكر في (3) تدل عليه علامتان مفترقتان هما / ون / في / المسافرون /

و / ون / في / ينتظرون / .

وينبغي تجنب الخلط بين الوحدة الاستبدالية المتقطعة Le Morphème Discontinú في منظور اللسانيات الأمريكية، واللفظة المفروقة أو المتقطعة Le Monème Discontnu في منظور اللسانيات الوظيفية لمارتيني، فهي في الأولى تعني اللفظة التي تتجزأ عندما تتصل بها أو تندرج فيها «داخلة Infixe»، وبالتعبير التقليدي، هي الكلمة التي تمت فيها الزيادة عن طريق الحشو لتكتسب معنى جديدا ومثالها :

سار - سار - ساير ، مشى - ماشى

وفي اللسانيات الوظيفية لمارتيني يدخل هذا المفهوم الأخير في إطار الصيغة الاتحادية التي ستحدث عنها فيما بعد .

أما اللفظة المتقطعة أو المفروقة في مفهوم هذه اللسانيات فتعني كل صيغة جزئت إلى قطعتين أو أكثر لتدل على مبدول واحد غير قابل للتجزئة كما ذكرنا أعلاه، وتمثلها في اللسان العربي حسب هذا المنظور ظواهر كثيرة سبقت لها أمثلة (1) و (2) و (3) ونذكر منها أيضا :

- إذا / مع فائها الرابطة .

إذا ف إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب

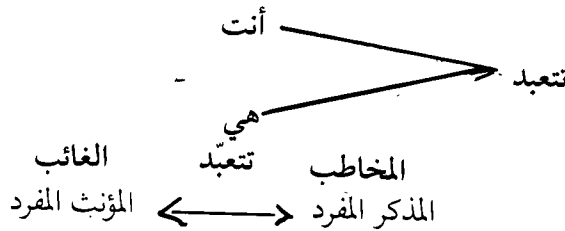
و / أما / مع فائها الرابطة للجواب .

أما ف أما الذين امنوا فيعلمون انه الفتح .

هـ اللفظة المشتركة Le Syncrétisme : إلى جانب الدوال أو اللفطات المذكورة انفا نجد في اللسانيات الوظيفية مفهوم اللفظة المشتركة أو الدال المشترك Le Syncrétisme وهو دال يتقاسمه مدلولان أو أكثر ويمكنه ان يستقل بمدلول واحد من هذه المدلولات يتحدد من السياق الذي يرد فيه .

ومثاله في اللسان العربي :

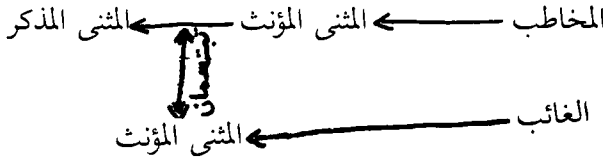
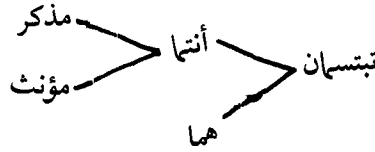
1 - صيغة المضارع التي يشترك فيها المخاطب المذكر المفرد والغائب المؤنث المفرد (1) كقولنا



2 - صيغة المضارع التي يشترك فيها المخاطب المذكر والمؤنث المشين والغائب المؤنث المشي (2)

(1) (2) ليس كل دال على وزن / تفعل / و / تفعلان / دالا مشتركا فلو أخذنا الفعلين، / تنتشر / و / تتفرعان / للاحظنا أن الفعل الأول لا يقترن الا مع الضمير / هي / لغير العاقل والفعل الثاني لا يقترن إلا مع الضمير / هما / لغير العاقل .

كقولنا :



و- الصيغة الاتحادية Le Synthème : يحدد مارتيني الصيغة الاتحادية Le Synthème كـ :

« مجموعة لفظات مكونة للمركب أو المشتق » وبعبارة أخرى : هي « وحدة دالة قابلة للتحليل شكليا ومعنويا إلى وحدتين داليتين أو أكثر ، إلا أنها تتصرف تركيبيا كوحدة فقط » بمعنى أنها نحويا تقيم نفس العلاقات مع بقية عناصر القول والوحدات الدالة التي تتناوب معها ، فهي تندمج في فئة الوحدات الدالة ولا تشكل أبدا فئة جديدة لهذه الوحدات ، وتستعمل في نفس أنماط السياقات التي تستعمل فيها اللفظات ، ومثالها في اللسان العربي :

كهربيائي، برمائي، لا نهائي، غالبا ما... رغم أنف... بمجرد... اندمج، قاتل، ماشى، استمد، رخصة السياقة، سمك موسى، عبد الله، رد الفعل، غار حراء، الورق المقوي، الدار البيضاء، سوق الفلاح، باب الزوار، عيد الفطر...
وبلاحظ من هذه الأمثلة على قلتها أن هناك أنواعا من الصيغ الاتحادية، ويتم التمييز بينها من طريقة تشكيلها، ذلك انه يمكن الحصول عليها :

١- عن طريق الاشتقاق :

أ- بزيادة سابقة :

ومثال ذلك : اندمج- استمد، تكهرب، تلون ...

2 - بزيادة لاحقة :

ومثال ذلك، بستاني، كتيبي، بريدي، ربيعي.

3 - بزيادة سابقة ولاحقة في الوقت نفسه :

ومثال ذلك : لا اخلاقي، لا شرعي، غير قانوني، تقديمي.

4 - بزيادة داخلية Infixe (حشو) :

ومثال ذلك : عايش، ساير، لاعب، ضارع.

5 - بزيادة سابقة وداخلية Infixe :

ومثال ذلك : تظاهر، تلاعب، تعايش، تسابق.

6 - بزيادة سابقة وداخلية ولاحقة :

ومثال ذلك : استفسار، استركاب، استمتاع، استخراج.

وبلاحظ ان هذه الزيادات المختلفة لا وجود لها خارج هذه المجموعات ماعدا / لا / .
II عن طريق التركيب حسب مثال معين :

1 - الصفة والموصوف :

ومثال ذلك : العقل الالكتروني، السكتة القلبية، السكة الحديدية، السلطة العليا، الدراجة النارية، النيابة العامة، الحكومة المؤقتة، الآلة الراقنة، العملة الصعبة، العالم الثالث، الضفة الغربية، البحر الأسود. الكرة الأرضية. الكرة الطائرة. البحر الابيض المتوسط، المحيط الهادي

2 - المضاف والمضاف اليه :

ومثال ذلك : جواز السفر، ساعي البريد، أبو بكر، غار حراء، طبيب الأسنان، جراحة الأسنان، روضة الأطفال، عيد الاضحى، رأس السنة، شلالات نياجارا، ساحل العاج، ليلة القدر، عيد الامهات، دول عدم الانحياز، مؤتمر القمة، ساحة أول ماي، باب عزون، بيت الله الحرام.

— عن طريق التجميد :

ومثال ذلك : اهلا وسهلا، صباح الخير. شكرا، قليلا ما . . نادرا ما . . . على الرغم من

وينبغي التنبيه إلى أن العنصر الأول المكون لبعض الصيغ الاتحادية يتعرض إلى تغيرات داخلية عند تصريفها. ومثال ذلك :

طبيب الأسنان ← أطباء الأسنان

جواز السفر ← جوازات السفر

روضة الأطفال ← رياض الأطفال

السكة الحديدية ← السكك الحديدية

الآلة الراقنة ← الآلات الراقنة

الحكومة المؤقتة ← الحكومات المؤقتة

ان كل الظواهر من هذا النوع تشكل فصلا من النحويسمى «علم الصيغ الاتحادية-La Synthématique ويكون متعلقا بالصرف عندما يتناول بالدراسة الصيغ الاتحادية التي يؤدي إقحام لفظة فيها إلى تغير دوالها، اما المجمدات فلا تدخل في علم الصرف، وكذا المشتقات والمركبات التي تبقى أشكالها ثابتة، فهي جميعا تنتمي إلى المجال المعجمي .

وخلاصة القول، ان الأهمية العظمى لمفهوم الصرف عند مارتيني تتمثل في كونه يسعى إلى حصر مجاله ويحدده بكيفية تحفظ له كل استقلاليته كمستوى للتحليل اللساني وإن مارتيني بتحديد له «علم الصرف» كـ «دراسة بدائل الدوال»، لا يبتعد عن النحو التقليدي فقط، وإنما يبتعد أيضا عن أسلافه المباشرين وعن اللسانيات البنيوية الأمريكية. وإن أصالة هذا المفهوم لتجعله جديرا بوقفه تأمل وتقدير.

مراجع البحث :

- 1- المراجع العربية :
- سيبويه (بشر عمرو بن عثمان)، الكتاب، تح : عبد السلام هارون، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977.
- عميري (باني). دراسة تحليلية نقدية لكتاب «المختار في قواعد اللغة العربية» المقرر للسنة الاولى من التعليم المتوسط بالمدرسة الجزائرية، (دراسة نظرية وميدانية على ضوء اللسانيات التطبيقية). رسالة ماجستير، جامعة الجزائر معهد اللغة والادب العربي، 1983
- قباش (أحمد)، الكامل في النحو والصرف والاعراب، دمشق : مطبعة دار الكتاب، 1982.
- المخزومي (مهدي). في النحو العربي، نقد وتوجيه، بيروت. صيدا. المطبعة العربية للطباعة والنشر 1964 م

2. المراجع الفرنسية :

- Dictionnaire de la linguistique, Sous la direction de MOUNIN (Georges), Paris, 1974.
- Dictionnaire de linguistique, Par DUBOIS (Jean) et autres..., Paris, 1973.
- DUCROT (Oswald) et TODOROV (Tzvetan), Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Paris, 1972.
- GERMAIN (Claude) et LE BLANC (Raymond), Introduction à la linguistique générale, 5 tomes, Montréal, 1982.
- LE BLANC (Raymond), voir GERMAIN (Claude).
- MARTINET (André), Eléments de linguistique générale, Paris, 1980.
- MOUNIN (Georges). Clefs pour la linguistique, Paris, 1971.
- SAUSSURE (Ferdinand de), Cours de linguistique générale, Paris, 1973.
- TODOROV (Tzvetan), voir DUCROT (Oswald).